

عنتره بن شداد هو ابن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي، وهو من أشهر الفرسان والشعراء العرب في العصر الجاهلي، وقد نشأ في منطقة نجد وورث سواد لونه من أمه الحبشية التي كانت تدعى زبيبة، وكان عنتره معروفاً بين العرب بأخلاقه العالية، كما كان يتصف بالحلم على الرغم من شدة بطشه في الحروب، ومن الجدير بالذكر أنّ أشعاره امتازت بالرقة والعذوبة؛ فلا تكاد تخلو من ذكر لمحبوته وابنة عمه عبله التي تناقلت الأخبار قصة حبه لها، ومن الجدير بالذكر أيضاً أنّ عنتره عاش عمراً طويلاً شهد خلاله حرب داحس والغبراء، وكان قد التقى في فترة شبابه بالشاعر امرؤ القيس، [١] كما كان يُلقب بـ"الفحاء" نظراً لوجود تشقق في شفتيه. [٢] نسب وحياة عنتره بن شداد وُلد عنتره في منطقة نجد في العام 525 للميلاد لأمة من الحبشة يُقال لها زبيبة كما سبق ذكره، وكان أبوه سيّداً من سادات عبس، وقد تعلّم عنتره الفروسية مبكراً حتى أصبح من أشهر فرسان العرب في ذلك الوقت، فظهرت فروسيته بجلاء في حرب داحس والغبراء التي أبلى فيها بلاءً حسناً، أما بالنسبة لنسبه فقد وردت أقوالٌ متعددة فيه، وهي: قيل إنه عنتره بن عمرو بن شداد. قيل إنه عنتره بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزم بن ربيعة. قيل إنه عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. قول البغدادي والكلبي إنه عنتره العبسي بن شداد بن عمر بن قراد، فغلب على اسم أبيه عمر ونُسب إليه، والأصل أنّه عنتره بن عمر بن شداد، وقيل إنّ شداد هو عمّه تكفل برعايته بعد وفاة والده. أسرة عنتره بن شداد كان والد عنتره من أشرف قومه، وكانت أمّه أمة حبشية أخذ منها سواد لونه وتشقق في شفتيه؛ ولهذا كان يلقب بالفحاء - كما سبق ذكره - ولذلك كان يعتبر من أغربة العرب، لأنّ العرب في ذلك الوقت كانت لا تعترف بأبناء الإماء في النسب إلا إذا أظهر هؤلاء الأبناء تميّزاً في الشجاعة والبطولة والشاعرية، وهذا كان حال عنتره مع أبيه الذي لم يلحقه بنسبه إلا بعد مشاركته في حروب قومه وما أظهره في تلك الحروب من شجاعة وبطولة، وكان لهذا الأمر بالغ الأثر في نفسه ويذكره دوماً في أشعاره. [٢] صفات وأخلاق عنتره بن شداد ذكر المؤرخون الكثير عن أخلاق عنتره التي كانت تتجلّى فيها رقة قلبه وقوة عاطفته، ورغم الحياة القاسية التي كان يعيشها إلا أنّه كان على قدر عالٍ من نقاء النفس، وقد جمع عنتره إلى جانب هذه الأخلاق شهرة واسعة في الفروسية والشجاعة التي كانت لا مثيل لها بين أقرانه بحيث ظهرت هذه الشجاعة بقوة في حرب داحس والغبراء، وقد استطاع عنتره من خلال هذه الخصال التعويض عمّا أصابه من دنوية وعبودية بسبب لونه. [٢] قصة حبّ عنتره بن شداد وعبلة أحبّ عنتره ابنة عمه عبله بنت مالك التي كانت أكثر نساء قومها جمالاً وأشهرهن نضجاً ونسباً، وقد عانى الكثير في سبيل هذا الحبّ وواجهته عوائق كثيرة؛ فقد امتنع عمّه من تزويجه إياها بسبب سواد لونه، ورغم النسب الذي كان يجمع بينهما إلا أنّ أباه وأخاه كانا ينظران إليه نظرة الأسياد إلى العبد ويتعاملان معه بكل تكبرٍ وازدراء، وكانا في كثير من الأحيان يخفيان عبله عنه عند إحدى القبائل المجاورة حتى لا يتمكن من رؤيتها، فكان عنتره يبعث في أثرها إحدى الجوارى لتأتيه بأخبارها، وكان لموقف عمّه هذا الألم البالغ في نفسه الذي كان يبثّه في قصائده الغزلية. [٣] لم تذكر أغلب الروايات الكثير عن أخبار عبله إلا ما كان من حبّ عنتره وهيامه بها، وقصائده الغزلية الجميلة التي قالها في ذكر محاسنها، وخلّت هذه الروايات من ذكر فيما كانت عبله تزوجت به أم بغيره، غير أنّ هناك بعض المصادر التي أكدت زواج عنتره بها، ومن هذه المصادر القصة الشعبية لعنتره التي أوردت زواجه بها، إلا أنّ هذه القصة لم تكن تستند في سيرته إلى دليل قوي، وقد كان فريقٌ من الباحثين يميل إلى هذا القول مستندين في قولهم إلى عدّة أسباب، ومنها: أنّ والد عنتره قد لحقه بنسبه وبذلك قد زال عنه حسّة النسب وقبحه بعد أن أصبحت عبله أمام الملائكة ابنة عمّه، كما كان عنتره من الفرسان العرب المشهورين بشجاعته، وهذا ما لا يستطيع من يتقدم لخطبة عبله الإغفال عنه خوفاً من قيام عنتره بالانتقام منه لأجل حبه وكرامته، وقد يكون هذا السبب دافعاً لوالد عبله وأخيها للموافقة على مصاهرته بعد أن علا شأنه واحتل المكانة التي يستحقها في قبيلته. [٣] نجد من الأسباب الأخرى التي استند إليها هذا الفريق هو شعره، فلا تكاد تخلو قصائده من وصف لحبه لها وذكر لمحاسنها حتى في حروبه وغزواته، وقد يكون ذكر هذا الغزل صعباً عليه وتأبى نفسه العزيزة على قوله لو كانت عبله تزوجت من غيره، فكان من الواجب على عنتره بما عُرف عنه من أخلاق حميدة تناسي هذا الحب والتوقف عن أشعاره الغزلية فيه بعد أن أصبحت عبله ابنة عمّه أمام قومه؛ حرصاً على كرامتها وكرامة زوجها وأبيها وبما يليق به وبأخلاقه، غير أنّ فريقاً آخر من الباحثين ذكر أنّ عنتره لم يتزوج من عبله بل بقي حبه معلقاً بها، وأنّ والدها امتنع عن مصاهرته وزوّجها لرجلٍ من أشرف قومه، وسواءً تزوّج عنتره بابنة عمّه عبله أم لم يتزوج يبقى شعره الغزلي الذي نظمها بها أجمل غزل قاله لأنّه كان يمثل ألم الحرمان واللوعة والظلم الذي كان يعيشه، حيث كان يُظهر فيه الصراع العنيف بين هذا الحبّ ولونه الأسود ومكانته الوضيعة بين قومه. [٣] شعر عنتره بن شداد وأبرز سماته ترك عنتره ديواناً من الشعر زخر بفتون عدّة كان معظمها في الفخر والغزل العذري والحماسة، وكان أبرز ما فيه معلقته

التي اشتهر بها، وامتازت أشعاره بالأسلوب العذب والألفاظ السهلة والمعاني الرقيقة. موضوعات شعر عنتره بن شداد اشتهر عنتره بشجاعته وببطولاته التي كان يظهرها في الحروب، وقد صوّر هذه البطولات في شعره ورسم في قصائده المتنوعة صورة الفارس البطل الشجاع بكل ما فيه من صفات وأخلاق حسنة، وأظهر ما تحلّى به من شجاعة وإقبال على القتال بدون خوفٍ أو وجل، ويبيّن أيضاً اهتمام هذا الفارس بأدواته القتاليّة من خيلٍ وسيفٍ ودروعٍ ورمح، وحاول عنتره ربط صورة هذا الفارس بنفسه، وكان يهدف من ذلك إبراز نفسه وشخصيته، وتأكيد فكرة حريته وجدارته بها، وكان حبّه لعبلة الدافع القوي الذي يحاول من خلاله إثبات وجوده وشخصيته. [٤] الوصف الفنّي والأفكار في شعر عنتره بن شداد استحوذت قصائد عنتره على أفكار عدّة كان أبرزها فكرة التعفف التي كانت واضحة في شعره، ففي الوقت الذي يعتقد المحارب أنّ الحروب هي لكسب الغنائم نرى عنتره يتعالى عن هذه الغايات؛ لأنّه كان يشارك بها من أجل الحروب نفسها، وليس لأجل الغنائم والمكاسب تاركاً هذه الأمور لغيره من المحاربين. [٤] نجد في شعر عنتره كغيره من الشعراء الجاهليين ظاهرة الوقوف على الأطلال؛ لأنّ هذه الظاهرة كانت أصدق تعبير عن عواطف الشاعر تجاه محبوبته وحنينه لها، فهذه الأطلال هي الأماكن التي عاش فيها الشاعر أو مرّ منها، أو ارتبطت بذكرى حدثت معه وهزّت وجدانه، [٤] فكان يقف وسط هذه الديار التي سكنتها محبوبته ثمّ تركتها ورحلت عنه إلى مكانٍ بعيد، سائلاً إياها الحديث وإخباره بأخبارها، وكان يبقى واقفاً وسط هذه الديار مناجياً إياها تأسر قلبه اللوعة والحنين لرؤيتها، والملاحظ في وصف عنتره للديار والأطلال في معلقته الميل إلى الإطالة والتكرار شأنه في ذلك شأن الشعراء الجاهليين الآخرين. [٢] أبرز الأغراض الشعريّة عند عنتره بن شداد الفخر: كان الفخر من أهم الأغراض الشعريّة عند عنتره، وكانت أشعاره في الفخر تتصف بالقوة والحماسة؛ إذ كانت من أسلحته في معركته العنيفة من أجل انتزاع حريته وإثبات نسبه والردّ على أعدائه، ومن أجل أيضاً الفوز بابنة عمه عبلة التي رفض أهلها تزويجها إياها لأنهم لا يرونه كفؤاً لها بسبب سواد لونه، فكان عنتره يستعين بشعر الفخر للتعويض عن عقدة السواد التي لازمته من أجل تأكيد حقه في الحرية، فقدّم نماذج شعريّة عدّة أظهر فيها صورة الفارس الشجاع المنتصر الذي ينتمي لقبيلته ويتمسك بقضاياها، وحاول ربط هذه الصورة بنفسه من أجل تأكيد مكانته بين قومه، واعتراف المجتمع الذي يعيش فيه بهذه المكانة وبما كان يتصف به من قيم وأخلاق. [٥] الهجاء: كان الهجاء في العصر الجاهلي مرتبطاً بموقف الشاعر من مجتمعه وما فيه من قيم راسخة؛ فهو من أكثر الأغراض الشعريّة تأثيراً في المجتمع، حيث كان الشاعر يستخدمه كسلاح قوي ومؤثر في ذكر عيوب الأعداء، ووصفهم بأبشع الصفات والأفعال، وكان غزو القبائل لبعضها البعض شائعاً في ذلك الوقت، فكان عنتره يجد نفسه في هذه الحروب لإبراز شجاعته في الدفاع عن قومه الذي كان يسعى جاهداً لإثبات نفسه بينهم في الوقت الذي لا يعترفون له بنسب أو مكانة، فكان عنتره في تلك الحروب يتعرض للمهجو بالهجاء الصريح المباشر دون تلميح مقرأناً إياه بالفخر بنفسه وبشجاعته بحيث يتناسب هذا الهجاء مع مكانته كفارس وبطل لقومه طمعاً في نيل المكانة التي يستحقها بينهم. [٥] الغزل: اشتهر عنتره بالغزل العفيف قوياً وفعلاً، فقد أحب ابنة عمّه عبلة حباً شديداً وقال فيها أشعاره الغزليّة الجميلة التي كانت تنبع من قلبه المتيمّم بها، وكان غزل عنتره لعبلة نموذجاً للغزل العفيف الذي يصدر عن شاعرٍ يتمتع بأخلاق رفيعة حيث كانت تذوب في أشعاره العاطفة القوية الصادقة، وتبرز فيها أشواقه العميقة ولوعته للقائها، فهو لا ينساها في كل حالاته سواء في الحرب أم السلم، فكان يقتحم ساحات القتال بكل شجاعة وبطولة مستقبلاً الموت من أجل أن يحظى برضاها وبقلبها. [٥] الحماسة: كان شعر الحماسة عند عنتره يمثّل الصورة الحيّة للتعبير عن شجاعته في ساحات القتال، فكان في شعره يصف أدق التفاصيل في منازلته العدو، حيث كان يستخدم شجاعته في الحروب كوسيلة للتخلص من عقده النفسيّة في كونه عبداً أسود، واصفاً في هذه الأشعار كيف ينال من العدو بعد أن يتمكن من إصابته بطعنة قاتلة مخاطباً العدو والدهر بالاعتراف بذاتيته إلى حدّ المبالغة في إظهار جبروته بحيث يبدو كأنه مستمتع بهذا الأمر، كما كان يصف الأسلحة وصوت السيوف وطعنات الرمح، وكان يعتمد في هذا الوصف على وقائع تاريخية تاركاً الحرية لخياله في تضخيم الحوادث القتاليّة، [٥] معلقة عنتره بن شداد المعلقة هي عبارة عن قصائد ظهرت في العصر الجاهلي، وسعة الخيال والبراعة في الأسلوب، وكانت تسمى أيضاً بالمذهبيّات لأنها كانت تكتب بماء الذهب، وقد ورد عن الباحثين روايات متباينة بسبب تسميتها بهذا الاسم إلا أنّ أغلب هذه الروايات اتفقت على أنّ السبب يعود إلى تعليقها على أستار الكعبة المشرفة، وكان لهذه المعلقة قيمة أدبيّة تمثّلت في تناول مواضيع مختلفة عن الحياة الجاهليّة، ومن أشهر شعرائها: امرؤ القيس، وزهر بن أبي سلمى، [٦] ترك عنتره بن شداد ديواناً من الشعر كان معظمه في الحماسة والفخر والحب العذري كما سبق ذكره، وتضمّن أيضاً الكثير من الشعر المنحول الذي تعددت الأقوال في الثابت منه، وكان أشهر ما في هذا الديوان معلقته الشهيرة، وهي عبارة عن قصيدة طويلة تحتوي على ما يقارب تسعة وسبعين بيتاً من الشعر على وزن البحر الكامل، وقد جاء شعر عنتره على نوعين

هما: النوع الغنائي الوجدانيّ، والنوع الآخر قصصي ملحميّ، ورغم الاختلاف بين هذه النوعين إلا أنّهما كانا مترابطين؛ بحيث لا يُقال أحدهما دون الآخر، وقد نظم عنتره هذه المعلقة خلال حرب السباق بعد أن شتمه شاعرٌ من قبيلته وعايره بسواد لونه ولون أمه وإخوته، فنظم عنتره معلّقة رداً عليه تضمنها الافتخار بنفسه، [٧] كان عنتره يستهلّ معلقته بمقدمة تتضمن ذكريات وعبر، وبعد ذلك يصف محبوبته عبلة وناقته مفتخراً بنفسه وأخلاقه الرفيعة وشجاعته وإقدامه في الحروب، فهو يُظهر نفسه كما وصفه الأديب طه حسين بصورة الشاعر العربي الأصيل الذي يتصف برقة القلب دون ضعف، والذي يشرب الخمر دون التفريط بأخلاقه ومروءته، ومتى عاد إلى عقله وصحوته عاد كريماً معطاءً، وهو فارسٌ شجاعٌ في الحرب عفيف النفس لا يطمع لغنائم هذه الحرب ولا إلى مكاسبها. [٧] وقد كان مطلع هذه المعلقة ما يلي: [٨] هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِّي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَأَسْلَمِي كتاب سيرة عنتره بن شدّاد الملحميّة قام العرب في نهاية العصر العباسي بكتابة سيرة عنتره بن شدّاد نظراً لشهرته في الشعر وفي الفروسيّة، إلا أنّ كاتب هذه السيرة بقي مجهولاً عند العامة، ووردت روايات متباينة في معرفة هويته، فقيل إنّ كاتبها هو الأصمعي لتكرار اسمه في مواضع كثيرة من هذه السيرة غير أنّ هذه الحجة لا تصلح لتكون دليلاً وخصوصاً أنّ أسماءً أخرى ورد ذكرها فيها، ومنهم: أبو عبيدة وجهينة ونجد بن هشام وآخرون، كما قيل إنّ الأديب يوسف بن إسماعيل المصري وهو كاتب لدى الحاكم بأمر الله الفاطمي قد ألّفها بناءً على طلب الخليفة؛ حتى يتغاضى الناس عن حادثة وقعت في قصره، لأنّه لم يرد عن المؤرخين ذكر لكاتب في العصر الفاطمي بهذا الاسم، كما لم يذكر وقوع أي أحداث مريبة في عهد أيّ خليفة فاطمي، وورد عن بعض المستشرقين أنّ هذه السيرة لم تكتب إلا في القرن السادس الهجري وأنّ مؤلفها هو واحد من أطباء وشعراء العراق المعروفين الذي كان يلقب بالعنترى مستنداً في روايته على كتاب ابن أبي أصيبعة "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" والتي ورد فيها أنّ العنترى كان في البداية يكتب أقوال عنتره ثم صار بعد ذلك معروفاً بنسبته إليه. [٩] شملت سيرة عنتره كافة الأحداث التي مرّ بها في حياته؛ حيث جاءت متشابكة تارةً ومتشعبة تارةً أخرى، وكان موضوعها يتمحور حول حياة عنتره الشاعر والفارس الشجاع والعاشق، وما واجهه من صعوبات ومخاطر في سبيل حبه لابنة عمه عبلة نتيجة سواد لونه، فتضمنت الفترة التي وقع فيها بالأسر، ومقابلته كسرى ملك الفرس، وانتقاله إلى مكة المكرمة وكتابة معلقته بماء الذهب وتعليقها على أسوارها، ثمّ ورد فيها أيضاً العلاقة التي كانت تربطه بدريد بن الصمّة والربيع بن زياد وعمرو بن معديكرب وحاتم الطائيّ وسفره إلى بلاد الشام ومقابلته قيصر الروم، وتطرقت السيرة أيضاً لوصف حياة العرب في العصر الجاهليّ، فذكرت عاداتهم ووصفت صفاتهم في الكرم والمروءة والشجاعة والوفاء والتضحية ومساعدة الضعيف وحسن الجوار، كما استعرضت النظام السياسي والاجتماعي للعرب في تلك الفترة. [٩] وفاة عنتره بن شدّاد توفي عنتره بن شدّاد عام 600 ميلادي عن عمر ناهز 90 عاماً بعد أن عاش حياةً حافلة بنظم الشعر، والمشاركة الواسعة في الحروب والغزوات، وقد اختلف الرواة في طريقة موت عنتره، ومن أبرز هذه الروايات نذكر ما يلي: [٣] رواية ابن حبيب وابن الكلبي وصاحب الأغاني: ذُكر فيها أنّ عنتره غزا بني نبهان من قبيلة طيء فقتل منهم شيخاً طاعناً في السن، وكان منهم رجلٌ قويّ يقال له وزر بن جابر النبهاني وكان يلقب بالأسد الرهيص، وحينها لم يستطع عنتره تفادي رميته لكبر سنه وضعف بصره، فأصاب ظهره وقطعه مما أدى إلى مقتله، وهذه الرواية من أكثر الروايات تداولاً وترجيحاً في سبب وفاته. رواية أبي عمرو الشيباني: تقول هذه الرواية إنّ عنتره غزا قبيلة طيء مع قبيلته ولكن عبس انهزمت ووقع عنتره عن فرسه ولم يستطع ركوبها مرة ثانية بسبب كبر سنه فدخل في مكان كله شجر كثيف فرأه طليعة الجيش الذي يتولى مراقبة العدو من مكانٍ عالٍ فما إن رأى عنتره حتى نزل إليه وخاف أن يأسره فرماه برمح أدى إلى موته. رواية أبي عبيدة: ورد فيها أنّ عنتره خرج في يوم من أيام الصيف ليتقاضى ثمن بعير كان له عند رجلٍ من قبيلة غطفان، فهبّت عليه رياحٌ قوية أدّت إلى وفاته. رواية القصّاص الشعبي: هي من الروايات التي نُسجت بخيالٍ بارع ومفادها أنّ السهم المسموم الذي رمى به الأسد الرهيص عنتره وأصاب ظهره، أحس حينها باقتراب منيته فظلّ راكباً فرسه متكئاً على رمحه، وطلب من الجيش أن ينسحب وينجو من بأس العدو، أمّا عنتره فبقي ثابتاً على حاله حامياً ظهر جيشه حتى انسحب ونجا بنفسه دون أن يجرؤ العدو للحاق به خوفاً من قائده عنتره، وفي هذه الأثناء لفظ عنتره أنفاسه الأخيرة وعندما طالت وقفته شكّ العدو في أمره فأطلق جواداً إلى فرسه لتهييجه، فعندها اندفع الفرس بصاحبه، فوقع عنتره على الأرض ميتاً بعد أن تمكّن من حماية قومه من نصر محقق للأعداء